



ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities

JTUH
جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
An article of Tikrit University for Humanities

available online at: www.jtuh.org/

The Ottoman Occupation of Morocco 1624-1859

A B S T R A C T

Assist. Lect. Faris Saleh Mahal

Tikrit University – College of Agriculture

* Corresponding author: E-mail :
Farismahl@tu.edu.iq

Keywords:
Ottoman
Morocco
Sultan
Algeria
conflict

ARTICLE INFO

Article history:

Received 4 Jan. 2021
Accepted 17 Feb 2022
Available online 20 Oct 2022
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2022 College of Education for Humanities, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>



The Moroccan-Ottoman relations constituted a field of study for historical studies due to their importance in the relations between the East and Morocco in the light of the civilizational communication between the two regions, in addition to other considerations, namely that the Ottoman State believed that it was the main leader of the Islamic world protecting it from foreign dangers. Moreover, it was able to extend its influence over many regions, east and west, but the Far Maghreb considered itself a single entity independent of the Ottoman authority.

The nature of the research necessitated dividing it into two sections. In the first section, the researcher dealt with the general Moroccan political and economic conditions and the conditions of the Ottoman state. The second section deals with the political relations between the Moroccan and Ottoman states, and the diplomatic relations between the two parties.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.10.1.2022.12>

الاحتلال العثماني للمغرب ١٦٢٤-١٨٥٩

م. م . فارس صالح محل / جامعة تكريت / كلية الزراعة

الخلاصة:

شكلت العلاقات المغربية - العثمانية مجال بحث للدراسات التاريخية نظراً لأهميتها في العلاقات بين المشرق والمغرب في ظل التواصل الحضاري بين المنطقتين ، زيادة على اعتبارات أخرى ، تتمثل في أن الدولة العثمانية كانت تعتقد أنها الزعيمة الرئيسية للعالم الإسلامي تحميه من الأخطار الأجنبية، علاوة

على ذلك فقد استطاعت أن تبسط نفوذها على العديد من المناطق مشرقا ومغربا ، إلا أن المغرب الأقصى اعتبر نفسه كيانا منفردة ومستقلا عن السلطة العثمانية، لذلك اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مبحثين ، تناول الباحث في المبحث الأول الأوضاع العامة المغربية السياسية والاقتصادية والأوضاع للدولة العثمانية ، إما المبحث الثاني تناول فيه الباحث العلاقات السياسية بين الدولتين المغربية والعثمانية ، والعلاقات الدبلوماسية بين الطرفين.

الكلمات المفتاحية : العثماني - المغرب - السلطان - الجزائر - الصراع - الصدر الاعظم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و أفضل السلام وأتم التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين...

شكلت العلاقات المغربية - العثمانية مجال بحث للدراسات التاريخية نظراً لأهميتها في العلاقات بين المشرق والمغرب في ظل التواصل الحضاري بين المنطقتين ، زيادة على اعتبارات أخرى ، تتمثل في أن الدولة العثمانية كانت تعتقد أنها الزعيمة الرئيسية للعالم الإسلامي تحميه من الأخطار الأجنبية، علاوة على ذلك فقد استطاعت أن تبسط نفوذها على العديد من المناطق مشرقا ومغربا ، إلا أن المغرب الأقصى اعتبر نفسه كيانا منفردة ومستقلا عن السلطة العثمانية

ودراسة هذه العلاقة يدخل في إطار العلاقة بين المركز الباب العالي) وبعض مناطق النفوذ العثماني في المغرب الإسلامي ، إذ تميز المغرب بخصوصية مهمة وهي أنه رفض الخضوع للسيادة العثمانية بل تصرف كسلطة مستقلة من خلال العلاقات الدبلوماسية العامة ، فعلاقة المغرب بالدولة العثمانية تكتسي أهمية خاصة كون أن المغرب الأقصى ظل البلد الوحيد من بلدان العالم العربي الذي أفلت من التبعية للدولة العثمانية ، إذ أنه كان يمثل مسرح للصراع بين المسيحية المتمثلة في الدول الأوروبية من جهة، والإسلام من طرف الدولة العثمانية ورغبة الاخيرة في ضمه إليها.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مبحثين ، تناول الباحث في المبحث الأول الأوضاع العامة المغربية السياسية والاقتصادية والأوضاع للدولة العثمانية ، إما المبحث الثاني تناول فيه الباحث العلاقات السياسية بين الدولتين المغربية والعثمانية ، والعلاقات الدبلوماسية بين الطرفين .

أهمية البحث

إن موضوع العلاقات المغربية العثمانية موضوع مهم يدخل ضمن إطار العلاقات بين المغرب الإسلامي والمشرق لاسيما في حوض البحر المتوسط والتي تحكمت فيه أطراف أجنبية منها الأوروبية ، فقد ارتبطت تلك العلاقات بظروف حتمت عليها أن تتأرجح تارة بين التوتر وتارة بين السلم إن موضوع العلاقات دائما يكون محل بحث ودراسة لدى العديد من الباحثين نظرة لأهميته وتأثيره الحضاري على الأمم والمجتمعات وبالتالي فهو جدير بالبحث والتعمق في طياته لهذا تم تسليط الضوء على بعض الجوانب منها العلاقات الدبلوماسية والسياسية بين البلدين والتي كانت أساس رسم العلاقات بينهما.

مشكلة البحث

اتسمت العلاقات المغربية العثمانية بطابعين أساسيين الأول طابع التوتر والصراع ، والطابع الثاني طابع السلم والمهادنة ، الأمر الذي يدعونا إلى البحث في إشكالياتها وطرح التساؤلات التي تكون جوهر الإشكالية المراد دراستها

المبحث الأول : الأوضاع العامة للمغرب والدولة العثمانية

تمهيد: لم يكن المغرب العربي بأفضل حال من المشرق العربي اذ كان الإسبان قد سيطروا على طرابلس منذ عام ١٥١٠م ثم أهداها الى فرسان القديس يوحنا عام ١٥٣٥ في حين حكم الحفصيون (١٢٢٩-١٥١٠م) تونس وأجزاء من طرابلس الغرب وشرق الجزائر ، بينما حكم الزينيون (١٢٣٥-١٥١٨م) في وسط الجزائر وغربها واتخذوا من مدينة تلمسان عاصمة لهم^(١).

عرف المغرب الأقصى عقب وفاة أقوى سلاطينه أحمد المنصور السعدي أوضاعاً سياسية متدهورة بسبب النزاعات التي نشبت بين أبنائه ، مما أدى إلى عودة التدخل الإسباني في الشؤون المغربية ، وهذا ما دفع بالأسرة العلوية إلى استغلال الوضع ونشر دعوتها لاستلام زمام الحكم لخلافة السعديين و في ظل الخلاف بين المؤسسين للدولة العلوية السلطان محمد بن الشريف والرشيد ظهر الصراع المبكر مع العثمانيين على الحدود، وكانت الدولة العثمانية تشهد آنذاك أوضاع سياسية مضطربة بسبب الفتن وصراع الدول الأوروبية عليها مشكلة عائقا لتوسعها^(٢).

و بعد مجيء محمد بن الشريف إلى الحكم و مبايعته بسجل ماسة هب بحركته لاستكمال أعمال أبيه و إعادة الهيبة للأشراف العلويين من جديد ، فعمل على إخضاع القبائل القريبة ومن ثم القبائل

الشرقية واستطاع العلويين القضاء على طموحات الدلائيين السياسية وارجعها إلى حيز الزاوية فدخل بذلك المغرب الأقصى في تجربته الشريفة الثانية^(٣).

توفي السلطان محمد بن الشريف ١٦٤٤م فتولى الملك أخوه السلطان الرشيد فعمل على توطيد دعائم الدولة الجديدة واستكمال التأسيس العلوي ، إذ بدأ بالقضاء على التمردات في سجل ماسة مثل تمرد ابن أخيه محمد الصغير ثم اتجه إلى فاس وحاصرها سنة ١٦٦٦م فأجبر أهلها على مبايعته ، و لما فتح فاس خرج لفتح بقية المغرب واتجه إلى تطوان والقي القبض على رئيسها أبي العباس النقسي وصادر أملاكه وقد ساعده ذلك على تدعيم نفوذه وتعزيز صفوفه ومواصلة الطريق لإسكات القوى المعارضة الأخرى المنتشرة في ربوع المغرب الأقصى^(٤).

أثر الاحتلال البرتغالي لموانئ المغرب تأثير كبيرة في الأوضاع السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية الداخلية والخارجية وقد دفع ذلك الشعب الى تجنيد نفسه وراء قياداته وتحمل عبء الدفاع والتحرير ، وقادهم الصراع ضد المحتلين إلى الاستنجد ببعضهم وبالمماليك في مصر وحتى بالعثمانيين قبل نهاية القرن الخامس عشر من خلال الرسائل الكثيرة أتي بعثت للحصول على الاستنجد والمساندة لهم للعرب في الأندلس للوقوف بوجه العدوان والاحتلال البرتغالي والاسباني وتحرير المناطق المحتلة^(٥).

عليه فإن الانقسام السياسي المغربي والصراع المحلي داخل كل قطر وعجز السلطات الحاكمة عن فرض نفوذها أدى إلى ضعفها وعجزها عن تحرير المناطق المحتلة ، ناهيك عن عجزها عن مواجهة الاعتداءات البرتغالية والاسبانية وغيرها ، اتخذت البحرية العثمانية بعض مناطق تونس والجزائر قاعدة للانطلاق في تلك المواجهة البحرية الضاربة التي تستعجل المواجهة البرية في أوروبا ، وقد وقع العبء على الشعب العربي في كل أقطار المغرب العربي بعد ان اتخذت السلطات الحاكمة و عجزت عن الدفاع، وعليه فقد تصدى الشعب وراء قيادات شعبية للمواجهة^(٦).

كان للحكم العثماني في الجزائر أثره في تقوية موقف الشعب التونسي المواجهة السلطان الحفصي الحسن بن محمد وأعوانه الأسبان منذ عام ١٥٣٥ وكلاهما اذاق الشعب الكثير من الجور والتعسف ، وقد دارت بين الطرفين معارك بحرية امتدت سنين طويلة واستطاعت البحرية العثمانية بقيادة سنان باشا من السيطرة على تونس والقضاء على الأسبان حتى غدت تونس ولاية عثمانية يشرف على ادارتها والي الجزائر^(٧).

كان المغرب القطر العربي الوحيد في المغرب العربي الذي لم يخضع للسيادة العثمانية وبقى محتفظاً باستقلاله ومدافعاً عن ذلك ضد محاولات الضم العثماني منذ بداية القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر وصد محاولات اسبانيا وفرنسا منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وادى تصاعد حدة المميزات الأجنبية في المغرب في نهاية القرن التاسع عشر إلى خلخلة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمغرب في محاولة للانقضاء عليه وسلب استقلاله وسيادته، الأوضاع الاقتصادية للمغرب العربي تجاوزت نشاطات السلطان المجال العسكري إلى مجالات أخرى كالاقتصادي والثقافي ، فساد الرخاء وعرفت بذلك الحياة الاقتصادية انتعاشا في عهده بعدما اكتمل تأسيس دولته وعم الأمن والسلم ، فسيطر على محور التجارة في الشمال وصارت منتجات السودان تصل إلى شواطئ الريف بالمغرب الأقصى ويتم التبادل بالأسلحة و الذخائر ^(٨).

لا شك أن الأنشطة الاقتصادية المتنوعة حفزت دول الاستعمار على السابقة لاحتلال تلك البلاد ، إذ انخرطت المنطقة بالتجارة منذ الفترة الفينيقية إما تصدير او استيراد وكانت تشمل جوانب زراعية كالحبوب ، والزيتون ، والماشية) او مواد معدنية (كالنحاس ، الذهب ، الحديد) وصناعية (كالأواني الخزفية ، الصباغة الأرجوانية ^(٩).

وقد عرفت المنطقة بإنتاج مهم ومتنوع و يأتي في مقدمته زراعة الحبوب التي كانت أهم الأنشطة المزاولة ، إذ مكنت الفلاحين من إنتاج كميات كبيرة منها التي كانت كافية لتلبية حاجات السكان البدو وحاجات سكان الحضر ، إذ كانت بلاد المغرب من أهم المناطق التي كانت تعتمد عليها لتوفير حاجياتها من الحبوب وقد مارست مراكش دورا مهماً في الحركة التجارية و كانت مدينة مكناس أنشط في التجارة والشمع والنحاس ^(١٠)،ومن المنتجات التي شكلت عمادة النشاط الزراعي في المنطقة زراعة الزيتون إذ تجمع المصادر التاريخية القديمة و البيزنطية و العربية على أنها من أهم المنتوجات الزراعية بالمنطقة لذلك غرف إنتاج زيت الزيتون تطوراً كبيراً بفضل الانتشار الكبير لمعاصر الزيتون في تلك الفترة ، حيث جعلت المؤرخين يتحدثون بإعجاب حيث أجمعوا ان الجيوش كانت تسير تحت ظلال الأشجار وذلك ما تؤكد المصادر التاريخية والجغرافية العربية التي تحدثت عن الانتشار الكبير لبساتين الأشجار المثمرة ولاسيما الزيتون ^(١١).

كذلك اهتم ساكنو بلاد المغرب بتربية الماشية إذ اهتموا منذ القدم بذلك النشاط واشتهرت به ، وكان أحد أعمدة الاقتصاد ، فهذا النشاط قد مارسه القبائل سواء كانت المستقرة او غير المستقرة ^(١٢).

وفي عهد السلطان إسماعيل " اهتم ببناء القصبات التي تحوي على أراضي زراعية ومخازن و مسجد و مساكن و حراسة و تحاط بالأسوار و الأبراج للمراقبة و اهتم ببناء القلاع كقلعة كنااسة

وقصورها و مساجدها و بساتينها و هذا شيء فوق المعهود ، اذ عجزت عنه الدول القديمة ، وقد ساعدت تلك الأبنية على الاستقرار والأمن في ربوع المغرب الأقصى ، وعم الرخاء في كل أرجاء مملكته المغربية^(١٣).

المطلب الثاني : الأوضاع السياسية والاقتصادية للدولة العثمانية .

تولى السلطان محمد الرابع مقاليد الحكم وهو يبلغ من العمر سبع سنوات ، دامت مدة سلطته إحدى و أربعين سنة ، تولت جدته وصايتها و إدارة أمور المملكة كانت تدير شؤون السلطة وفق العادة المألوفة وتميز حكمها بداية بمجازاة المتسببين في فراغ الخزينة المالية ، وبعد مرور سنة من تولي السلطان العرش حدثت فتنة بين الأغوات على ترفيع الرتب و الزعامة ، واشتدت الفتن والطغيان في الأناضول و عصيان الانكشاريين ، فعم الضعف في جسم الدولة من تغلب الأوجاقيين اللذين كانوا يعزلون الوزراء تباعا و يولون من ليسوا أهلا للوزارة ، فزادوا في الإسراف و التبذير و صاروا يتسابقون على المناصب و الرشاوى و سرقة الأموال ثم سرى الظلم على الأهالي بزيادة الضرائب بما لا يحتمل و يطاق ، وازداد البلاء من أعمال الصدر الأعظم في قتل أصحاب الثروة و مصادرة أموالهم ، واستمرت الفتن والاضطرابات إلى أن هجم الأوجاق و الانكشارية على قصر السلطنة بمساعدة من الأغوات وقتلوا السلطانة ماه بيكر ، كما قام الصدر الأعظم بقتل جميع الأغوات التابعين لها بزعمه أن ذلك من باب الاحتياط ، لئلا يقصد أحدهم بالسلطان سوءاً^(١٤)، إذ كثرة الحروب وانشغال الدولة العثمانية ومواجهة التحديات لفرض نفوذها في وسط وشرق أوروبا لفرض سيطرتها أدت الى ضعف الدولة العثمانية عسكرياً^(١٥).

كما ان اشتداد الفتن بين الأغوات على ترفيع الرتب و الزعامة والطغيان في الأناضول و عصيان الانكشاريين أدى الى ان يعم الضعف في جسم الدولة وسيطرة الأوجاقيين اللذين كانوا يعزلون الوزراء تباعا و يولون من ليسوا أهلا للوزارة فزاد الإسراف و التبذير و صاروا يتسابقون على المناصب و الرشاوى وسرقة الأموال^(١٦).

المبحث الثاني: علاقة المغرب بالدولة العثمانية :

المطلب الأول : العلاقات السياسية المغربية العثمانية المطلب الثاني: طبيعة العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والدولة العثمانية.

بعد وفاة عبدا لله الغالب في ٢٢ كانون الثاني ١٥٧٤ م ، بويع ابنه أبو عبدا لله محمد المتوكل (١٥٧٤ - ١٥٧٦م) الذي لم تشهد مدة حكمه القصيرة أية أحداث مهمة، باستثناء تصاعد وتيرة

الصراع مع أعمامه اللاجئين لدى العثمانيين، ما أدى في النهاية إلى الإطاحة بحكمه، والظروف التي أفضت إلى ذلك لها أهميتها القصوى فيما يتعلق بتاريخ المغرب الأقصى وعلاقاته سواء مع الدولة العثمانية أو اسبانيا والبرتغال^(١٧).

فمنذ عام ١٥١٠ وحتى ١٥١٥ م ، واجهت البحرية العثمانية بقيادة الأخوين (عروج وخير الدين) والقرصنة الأوربيين في البحر المتوسط ولم تقف الأمر عند ذلك بل قدما مساندها للعرب المسلمين الهاربين من بطش الاضطهاد الاسباني ، لذا استمرت الصدمات البحرية بين العثمانيين والإسبان لغاية عام ١٥١٨ م ، اذ تمكنت البحرية العثمانية من السيطرة على مدينة الجزائر ، ولم يستقر الأمر حتى طرد الإسبان من الجزائر ، وصارت الجزائر خاضعة للعثمانيين بأكملها ، وفي عهد الأمير صالح رابيس (١٥٥٢-١٥٥٦م) امتدت السيادة العثمانية الى الجنوب حتى بسكرة^(١٨).

رافق ذلك سعي السعديين من اجل توطيد دعائم حكمهم الناشئ، مستفيدين من حالة عدم الاستقرار السياسي والعسكري في المغرب الأقصى، ثم تنامي شعبيتهم بين أوساط السكان نتيجة لجهودهم الحثيثة وتبنيهم دعوة الجهاد، وحملهم السلاح ضد المحتلين البرتغاليين، لذا فآثر دخول مراكش عام ١٥٢٥ م ، شرعوا بالعمل للقضاء بشكل نهائي على الحكم الوطاسي المتداعي، ليتوجوا جهودهم بدخول مدينة فاس عاصمة الوطاسيين عام ١٥٤٩ م، لكن العثمانيين تدخلوا عسكريا، ما أدى إلى هزيمتهم، وإعادة الحكم الوطاسي، بسبب خشيتهم من تداعيات النزعة المستقلة للسلطان السعدي^(١٩).

وفي ٨ كانون الثاني ١٥٥٤ م ، نجحوا بدخول فاس وأعادوا الحكم الوطاسي بقوة السلاح، غير أنهم لم يحسنوا التعامل بعد ذلك، إذ أساءوا التعامل مع السكان بشدة، اذ تعاملوا معهم تعامل الفاتحين الجدد، لينتهز محمد الشيخ تلك الفرصة السانحة من اجل استعادة زمام المبادرة، وهاجم المدينة مرة أخرى، ونجح في استعادتها بتاريخ ٢٣ أيلول ١٥٥٤ م، منهيا بذلك الحكم الوطاسي وصارت فاس عاصمة الدولة الجديدة، ليبدأ حكم السعديين (١٥٥٤-١٦٥٩م) في المغرب الأقصى^(٢٠).

بلغت الأزمة العثمانية المغربية ذروتها في بداية ١٥٨١م، فكانت القوتان الإسلاميتان على أبواب الحرب وتحت تأثير معسكر أنصار الحرب الذي يقوده ثمانية آلاف رجل لفرض الهدوء في الجزائر و"الإضرار بحاكم فاس"، وصل علوج علي إلى مدينة الجزائر في يونيو ١٥٨١ م ، فيما تمركز السلطان الشريف بفاس محاطا بكل جيشه وقد علم بتحركات العثمانيين. قسم الكتابب على

كل البلاد وحصن كل الثغور والموانئ لاسيما ميناء العرائش الذي سلم قيادته لأقرب معاونيه إبراهيم السفيناني تلك التحضيرات العسكرية تزامنت مع هجمة دبلوماسية مغربية^(٢١).

رغم اطمئنانه لدعم الإسبان حاول السلطان الشريف أن يفك الأزمة مع الباب العالي بأن أرسل عددا من الوفود إلى إسطنبول أبرزها وفد بقيادة عبد الواحد عون وأحمد الوالي. حاول باشوات الجزائر كل ما في وسعهم لتعطيل مهمة الوفود ومنع إبرام سلام بين الطرفين لأسباب تتعلق بالحرب والقرصنة والمصالح الاقتصادية. بل وصل الحد بعلي باشا إلى اعتراض سبيل المركب المقدس السلطان الشريف في تموز ١٥٨١ م^(٢٢).

لذلك أرسل السلطان الشريف على عجل قضاة الجماعة في مراكش أبا القاسم أشاطبي إلى الجزائر لحل الإشكال وحمله رسالة يحاول فيها السلطان التهدئة وإقناع الباشا بترك الوفد المغربي يكمل رحلته باتجاه إسطنبول. وتحت ضغوط المغاربة والأسبان والعثمانيين أطلق علوج علي سراح السفراء المغاربة ولكنه لم يسمح إلا لواحد منهم وكان الأصغر سنا والأقل خبرة بأن يكمل طريقه إلى الباب العالي. لكن الشاب أنجز مهمته على أحسن وجه واستطاع التوصل إلى هدنة بين القوتين الإسلاميتين. وإلى جانب اقتدار وبراعة السفير المغربي أحمد الفوز، فإن السياق الدولي سهل بشكل حاسم إنهاء حالة التأزم بين السلطنة الشريفة والدولة العثمانية^(٢٣).

ازداد طموح العثمانيين الجاد لضم المغرب الأقصى، من أجل استكمال سيطرتهم على المغرب العربي، وإلا بماذا نفسر تلك الحشود البحرية والبرية لمهاجمته في حين كانت تونس وبعض موانئ الجزائر تعانين من وطأة الاحتلال الاسباني (١٥٠٥-١٧٩٢) والقوى المحلية المتعاونة معهم، فيما حلت الفوضى والاضطرابات بالمغرب عقب الاغتيال فأصبحت الفرصة سانحة أمامهم لاحتلاله إذ صدرت الأوامر إلى والي الجزائر حسن بن خير الدين (١٥٥٧-١٥٦١م) للزحف باتجاهه^(٢٤)، وقد بقي المغرب البلد الوحيد في الغرب الإسلامي الذي اقلت من السيطرة العثمانية ومن ثم يمكن تفسير طابع التوتر والحذر الذي ميز العلاقة بين الدولتين لقد أملت الأوضاع على السلاطين المغاربة نهج سياسة لم تراعي كثيرة وضعية الانتماء لنفس الدار لكن السياسة التي تمكن المغرب من الحفاظ على استقلاله عن الأتراك ومن ثم تراوحت تلك العلاقة بين الحدة والتوتر من جهة ومن التقارب والتعاون من جهة أخرى^(٢٥)

المطلب الثاني : طبيعة العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والدولة العثمانية

اتسمت العلاقات في عهد السلطان أحمد المنصور بالود والسلم التام مع السلاطين العثمانيين خاصة بعد انتصاره في معركة وادي المخازن سنة ١٥٧٨م حين تلقى التهاني والهدايا من الباب العالي لانتصاره على الكفار ، قيمت أسواق التبشير بنصر الملة واعتزاز الدين و إعلاء الكلمة ، و مما جعل الدولة العثمانية تتبع سياسة المهادنة إزاء المغرب هو رحيل سلطانها القوي سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) ، لا سيما بعد هزيمة أسطولها في معركة ليبانت ، والمغرب بدوره تركزت دولته حين أتم السعديون توحيد البلاد تحت سلطتهم وحرروا عددا من الأراضي المحتلة فلم يعد فيه مطمعا لأحد^(٢٦).

تجسد علاقتهما السلمية في تبادل الطرفين للرسائل التي تدل على حسن علاقات الجوار بينهما ، والتي تم فيها الاعتراف بسيادة السعديين على المغرب الأقصى وفي مقابل ذلك قام السعديون حفظ الود للعثمانيين لعل أعظم سفارة أرسلها السلطان أحمد المنصور إلى السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٤م)، هي سفارة علي بن محمد التمكروتي و كاتبه محمد بن علي بن أبي قاسم عام ١٥٨٩م^(٢٧).

استمرت العلاقات بين الطرفين لغاية نهاية عام ١٦٠٣م، حين توفي أحمد المنصور ومحمد الثالث في العام نفسه ، بعدها عرفت العلاقات تراجعا بسبب ما ألت إليه المغرب من أوضاع سياسية متدهورة وفوضي انتشرت في كامل المناطق المغربية^(٢٨)، وبوفاة السلطان المغربي إسماعيل ١٧٢٧ م انتهت حقبة من العداة والحذر في علاقات المغرب الخارجية ، لاسيما مع العثمانيين الأتراك ، وبدا التغير تدريجيا في سياسة البلدين من التوتر والمواجهة الى المهادنة والتعاون ، ويتجلى ذلك في بداية التبعية التامة التي أعلنها السلطان المولى عبدالله ١٧٢٨-١٧٥٧م) للباب العالي في رسالة تقول " وإنا اخطب بك في مساجد الجمعة والأعياد كما فعل والدنا مع إسلافكم الجياد ولولا الغرب صعب المرام لاستعملت إقدام الإقدام الى حضرة ذلك الهمام....." وكان هذا المقتضب يشير الى الجانب الدبلوماسي بين الطرفين^(٢٩).

إن التحولات الكبرى التي عرفتها أوروبا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر جعلت البلدين يحسان بالضعف والخطر نتيجة انقلاب ميزان القوى لصالح دار الحرب ، وقد تجلى ذلك التقارب في مستويات عديدة منها ازدهار الدبلوماسية المغربية والسفارات في اتجاه الدول الأوروبية ، وكانت عملية افتداء الأسرى عامة شملت الأسرى المغاربة وأسرى الدولة العثمانية وظهرت السلطان محمد بن عبد الله مظهر المتضامن مع إخوانه في الدين والساعي الى خدمة الإسلام والمسلمين^(٣٠).

كما أن التعاون العسكري بين الدولتين هو نتاج الظروف الصعبة التي يمر بها الطرفين ففي المغرب كان سيدي محمد قد أعلن الجهاد من أجل تحرير الثغور المحتلة إما الدولة العثمانية فقد دخلت عام ١٧٦٨م ، في حرب مع روسيا وقد تمثل ذلك التعاون في إرسال المغرب العتاد الحربي للعثمانيين والعكس^(٣١).

وخلال القرن التاسع عشر ارتكزت العلاقة على الإصلاح والتعاون لاسيما في مجال الخبرة العسكرية ففكرة تحديث الجيش التي شرع بها السلطان عبد الرحمن بن هشام (١٨٢٢ - ١٨٥٩م) وقد تمت بمساعدة عثمانية^(٣٢).

الخاتمة

مرت العلاقات المغربية العثمانية في مطلع العصور الحديثة بمراحل ثلاث استغرقت الأولى أغلب القرن السادس عشر ، وهي المرحلة التي حاول العثمانيون أثناءها بسط سيطرتهم على المغرب كغيره من الدول العربية الأخرى، ولو أنهم أخفقوا في ذلك أما المرحلة الثانية: فهي التي فقدت فيها الدولة العثمانية قوة اندفاعها وصارت لا تشكل خطراً كبيراً على المغرب، وكان ذلك خلال القرن السابع عشر ، وقد حدثت خلالها نزاعات بين الطرفين على الحدود الجزائرية المغربية، من ذلك أن المولى إسماعيل قام بعدة محاولات عسكرية. وإذا كان الأخير قد مني بالفشل من ناحية، فإنه حمل السلطان العثماني إلى مكاتبته، طالبا منه الوقوف عند حد أسلافه. أما المرحلة الثالثة، فقد اتضحت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ،حين أخذت أسباب الضعف تلم بالدولة العثمانية، وصارت آنذاك تعرف بالمسألة الشرقية أو الرجل المريض فيما بعد، وخلال تلك المرحلة عرفت العلاقات المغربية العثمانية شكلا من أشكال التعاطف الإسلامي، وقد شكل عهد السلطان المغربي محمد بن عبد الله، الانموذج الأمثل لتلك المرحلة ، وتشير معظم الكتابات المغربية في ذلك الموضوع، إلى أن المغرب اختار سياسة التقارب مع الدولة العثمانية بعد فترة الركود الطويلة، بدافع الروح الإسلامية التي كان يتمتع بها السلطان محمد بن عبد الله، لاسيما وأن الدولة العثمانية رمز الخلافة الإسلامية و كانت تعاني الضعف والانحطاط، كذلك كانت تبحث عن السند المادي والمعنوي، الذي لم تجده إلا في المغرب الأقصى، وقد سارع هذا الأخير إلى مد يد العون للعثمانيين دون قيد أو شرط، فساندهم مادياً ومعنوياً، وتبادل معهم الوفود و استفاد من الخبراء الأتراك في الشؤون الهندسية والعسكرية وقامت بين الجانبين سفارات عديدة.

الهوامش والتعليقات

- (١) علي محمد داهش ، الدولة العثمانية والمغرب ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٨ .
- (٢) سمير عبد الرسول العبيدي ، واقعة وادي المخازن ، بحث مقدم الى الجامعة المستنصرية ، مركز المستنصرية للدراسات ، ٢٠١٩ ص ٢٨٣ .
- (٣) عزيز سامح أتر ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ٣ .
- (٤) عبد العزيز بتعبد الله ، تاريخ المغرب العصر الحديث و الفترة المعاصرة ، مكتبة السلام، المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٣ .
- (٥) علي محمد داهش ، المصدر السابق ، ص ١٠ .
- (٦) المصدر نفسه، ص ١٤ .
- (٧) المصدر نفسه ، ص ١٠ .
- (٨) بشارف صبرينة ، العلاقات المغربية العثمانية في العهد العلوي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الجبلاني بو نعامة ، ٢٠١٩ ، الجزائر، ص ١٣-١٤ .
- (٩) عبد العزيز اكرير ، تاريخ المغرب القديم ، دار مطبعة النجاح الجديدة، ط ١ ، ٢٠١٩ ، ص ٢٥٨ .
- (١٠) احمد العثماني ، دور الفتوحات الإسلامية في التحول الحضاري لبلاد المغرب ، دار الأكاديميين للنشر والتوزيع ، ٢٠٢١ ، ص ٤٧ .
- (١١) احمد العثماني ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .
- (١٢) احمد العثماني ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .
- (١٣) أبي عبيد الله البكري ، المسلك والممالك ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٢ ، المجلد الأول ، ص ٢٤٩ .
- (١٤) بشارف صبرينة ، المصدر السابق ، ص ١٨ .
- (١٥) محمد علي داهش ، العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث ، بحث مقدم الى جامعة الموصل ، قسم التاريخ ، ١٩٩٠ ، ص ١٦١ .
- (١٦) بشارف صبرينة ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .
- (١٧) شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس - الجزائر المغرب)، ط ١ ، القاهرة، مكتبة لأنجلو مصرية، ١٩٧٧م، ١٧٤ .
- (١٨) علي ماهر داهش ، المصدر السابق ، ص ١٠ .
- (١٩) شوقي عطا الله الجمل، المدر السابق ، ص ١٧٩ .
- (٢٠) علي ماهر داهش ، المصدر السابق ، ص ١١ .

- (٢١) عبد الرحيم بنحادة ، المغرب والباب العالي في منتصف القرن السادس الى أواخر القرن الثامن عشر ، أطروحة دكتوراه ، جامعة سيدي محمد ، فاس ، ص ٣ .
- (٢٢) عبد العزيز القشتالي ، مناهل الصفا المصدر نفسه ، ت: عبد الكريم كريم ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط د ب ت ، ص ٦١ .
- (٢٣) القشتالي ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .
- (٢٤) سمير عبد الرسول ألبعدي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .
- (٢٥) خالد فؤاد طحطح ، العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث ، مجلة دراسات ، السنة الرابعة ، العدد الرابع عشر ، المغرب ، ٢٠١١ ، ص ١٠٧ .
- (٢٦) عبد المنعم لجميبي ، الدولة العثمانية و المغرب العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م ، ص ١٢ .
- (٢٧) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٠٣ هـ ، ص ٢٩٠ .
- (٢٨) عبد الحفيظ حمان ، المغرب والثورة الفرنسية ن سلسلة شرفات ، العدد ٩ منشورات الزمن ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦ ، ص ٨٧ .
- (٢٩) خالد فؤاد طحطح ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
- (٣٠) خالد فؤاد طحطح ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
- (٣١) مصطفى الغاشي ، الرحلة المغربية والشرق العثماني ، مكتبة موهن قريش ، المغرب ، ٢٠١٧ ، ص ٧٩ .
- (٣٢) خالد فؤاد طحطح ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

Reference

- 1- Abi Ubaid Allah Al-Bakri, Paths and Kingdoms, Arab Book House, 1992, Volume One
- 2- Ahmed Al-Othmani, the role of the Islamic conquests in the civilizational transformation of the country
1. Morocco, Academic House for Publishing and Distribution, 2021.
- 3- Bacharf Razinah, Moroccan-Ottoman Relations in the Alawi Era (1679-1757), Master Thesis, Al-Jilani University, Faculty of Humanities, Algeria, 2016.
- 4- Khaled Fouad Tahtah, Moroccan-Ottoman Relations in the Modern Era, Dirasat Journal, Fourth Year, Issue Fourteen, Morocco, 2011,
- 5- Samir Abdel-Rasoul Al-Obaidi, The Incident of Wadi Al-Makhazin, Research Presented to Al-Mustansiriya University, Al-Mustansiriya Center for Studies, 2019.

- 6- Shawqi Atallah Al-Jamal, The Great Arab Maghreb in the Modern Era (Libya - Tunisia - Algeria - Morocco), I 1, Cairo, Anglo-Egyptian Library, 1977 AD.
- 7- Aziz Sameh Alter, The Ottoman Turks in North Africa, translated by: Mahmoud Ali Amer, 1st edition, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1989.
- 8- Abdelaziz Benabdallah, The History of Morocco in the Modern Era and the Contemporary Period, Al-Salam Library, Volume 2, Morocco. Dt.
- 9- Ali Muhammad Dahesh, The State, The Ottoman Empire and Morocco, House of Scientific Books, Iraq, 2010.
- 10- Abdelaziz Akrir, The History of the Old Maghreb, Dar Al-Najah New Press, Edition 6, 1, 2014
- 11- Abdel Moneim Al-Ajali, The Ottoman Empire and the Arab Maghreb, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 2007.
- 12- Abdel Hafeez Hamman, Morocco and the French Revolution, Sharafat Series, Issue 9, Zaman Publications House, An-Najah Press, Casablanca, 1994.
- 13- Abd al-Aziz al-Qahtali, Manahil al-Safa, same source, T: Abd al-Karim Karim, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Rabat, d.
- 14- Abdel Rahim Benhada, Morocco and the Sublime Porte in the middle of the sixteenth century to the end of the eighteenth century, PhD thesis, University of Sidi Mohamed, Fez.
- 15- Muhammad Farid Bey, History of the Ottoman Attic, Investigated by: Ihsan Haqqi, Dar Al-Nafaes, Beirut, 2nd edition, 1982.
- 16- Mustafa Al Ghashi, The Moroccan Journey and the Ottoman East, Mohan Quraish Library, Morocco, 2017.
- 17- Muhammad Ali Dahesh, Moroccan-Ottoman Relations in the Modern Era, a paper submitted to the University of Mosul, Department of History, 1995.